الفتح الجليل

في بيان آداب المتعلم والعالم



تأليف

العبد الفقير شاكر الفائزين بن ابن حجر

مكتبة دار الفائزين

سلسلة كتب الفقير دار الفائزين (٤)

الفتح الجليل

في بيان آداب المتعلم والعالم

تأليف

الفقير إلى الله دار الفائزين بن ابن حجر بن حسن

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

مكتبة دار الفائزين

الطبعة الأولى

يوغياكارتا - ١٤٣٩ هـ / ٢٠١٨ م

مكتبة دار الفائزين

5

مقدمة المألف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله سيد الأولين والآخرين، وعلى آله وأصحابه والتابعين وتابعيهم بفضل وإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

فهذا الكتاب في بيان آداب المتعلم والعالم، وقد راعيت فيه الاختصار مع سهولة العبارة، وقد اقتبسته من مصادر كثيرة من كتب أهل العلم، ولا سيما كتاب (تذكرة السامع والمتكلم) للإمام بدر الدين الكناني الشافعي، وكتاب (المنهج السوي) للحبيب زين بن سميط نفعنا الله بهما، وقصدت بذلك النفع والانتفاع، والتذكر والتذكير لنفسي ولإخواني من المسلمين. وسميته (**الفتح الجليل في بيان آداب المتعلم والعالم**).

وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، ومقربا إلى جواره فى جنات النعيم، وأن يعظم النفع به لي ولكافة إخواني من المسلمين، فإنه ولي ذلك، والقادر عليه. وحسبي الله ونعم الوكيل، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

العبد الفقير دار الفائزين بن ابن حجر

١٢ شعبان ١٤٣٧

الباب الأول
فى فضل العلم وأهله وفضل تعلمه

اعلم أن العلم، أي: تعلمه وتعليمه، أرفع وأفضل من سائر الأعمال التى يتقرب بها إلى الله تعالى. قال الله تعالى: ﴿**شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ وَالمَلائِكَة وَأُوْلوا الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [آل عمران: ١٨]. وهذه خصوصية عظيمة للعلماء فى هذا المقام، يعنى بدأ سبحانه وتعالى بنفسه، ثم بملائكته، ثم بأهل العلم، وكفاهم بذلك شرفا وفخرا.

وقال الله تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلوا الألْبَابِ**﴾ [الزمر: ٩]، أي: إنهم لا يسوون أبدا، لا فى الدينا ولا فى الآخرة، ولكن يفضل الله تعالى من يعلم على من لا يعلم بدرجات كثيرة، كما قال الله تعالى: ﴿**يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾ [المجادلة: ١١].

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: يرفع الله العلماء يوم القيامة على سائر المؤمنين بسبعمئة درجة، ما بين الدرجتين مسيرة خمسمئة عام. اهـ.

وذلك لأن العلم نفعه متعد، وهو أساس العبادات، ومنبع الـخيرات، كما أن الجهل رأس كل شر ومنشأ كل ضرر وأصل جميع البليات.

والجاهل واقع فى الترك الطاعات وفعل المعاصى شاء أم أبى، فإنه لا يدرى أي شيء الطاعة التى أمره الله بفعله، ولا أي شيء المعصية التى نهاه الله عن ارتكابها، ولا يخرج من ظلمات الجهل إلا بنور العلم.

وفى العلم حياة الأبد، وفى الجهل موت الأبد، وأنشدوا:

ليس من مات فاستراح بميت ❊ إنما الميت ميت الأحياء

أي: من مات بالجهل والبعد عن الله، فهو الميت حقيقة وإن كان حيا صورة وجسما. قال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله: ما عصي الله بمعصية أعظم من الجهل. وقيل له: يا أبا محمد، هل تعرف شيئا أشد من الجهل؟ قال: نعم، الجهل بالجهل. اهـ.

واعلم، أن الدين الإسلامي قائم على أساس العلم والمعرفة، فلا ينبغى للمسلم أن يكون بعيدا عن نور العلم، بل لابد أن يقتبس من الميراث النبوي، فإن العلماء ورثة الأنبياء، ونواب الرسل عليهم السلام.

فعن أبي الدرداء أنه قال: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر»** [أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه].

وفى الصحيحين من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **«من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين»** [متفق عليه].

ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان، أحدهما عابد، والآخر عالم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم»**، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«إن الله وملائكة وأهل السماوات والأرض حتى النملة فى جحرها، وحتى الحوت ليصلون على معلمي الناس الخير»** [أخرجه الترمذي، وقال حديث حسن صحيح].

وهذا من بركة العلم ودعوة العالم إليه، وكذلك العالم يأمر بالإحسان إلى الحيوان فى سائر أحواله حتى فى ذبحه فيما يذبح، وفى قتله حيث جاز قتله، وينهى عن المثلة به، فبان بذلك وجه كون كل شيء يستغفر للعالم حتى الحيتان البحر.

واستغفار حيتان البحر للعالم يكون فى حياته وبعد مماته إلى يوم القيامة، لأن العلم ينتفع به بعد موت العالم إلى يوم القيامة، وفى هذا دليل على شرف العلم وتقدم أهله، وأن من أوتيه فقد أوتي فضلا عظيما.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة»** [أخرجه مسلم].

وقال عليه الصلاة السلام: **«إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم لرضى الله عنه»** [أخرجه أبو داود].

وقد اختلف في معنى وضع أجنحتها فقيل: التواضع له، وقيل: النزول عنده والحضور معه، وقيل: التوقير والتعظيم له، وقيل: معناه تحمله عليها فتعينه على بلوغ مقصده.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: خير سليمان عليه السلام بين العلم والمال والملك، فاختار العلم، فأعطاه الله المال والملك.

وقال القائل:

إن فـقـيـها واحـدا متورعا

أشد على الشيطان من ألف عابد

وقال الإمام سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى: لم يعط أحد في الدنيا شيئا أفضل من النبوة، وما بعد النبوة أفضل من العلم والفقه، فقيل عمن هذا؟ قال: عن الفقهاء كلهم.

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه: من لا يحب العلم لا خير فيه، فلا تكن بينك وبينه معرفة ولا صداقة، فإن العلم حياة القلوب ومصباح البصائر.اهـ.

وقال أبو مسلم الخولاني: العلماء في الأرض مثل النجوم في السماء إذا بدت للناس اهتدوا بها وإذا خفيت عليهم تحيروا.

وعن معاذ رضي الله عنه: تعلموا العلم فإن تعلمه حسنة وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد وبذله قربة وتعليمه من لا يعلمه صدقة.

وقال سفيان بن عيينة: أرفع الناس عند الله منزلة من كان بين الله وبين عباده وهم الأنبياء والعلماء ـ وقال أيضًا: لم يعط في الدنيا شيئًا أفضل من النبوة، وما بعد النبوة شيء أفضل من العلم والفقه، فقيل: عمن هذا؟ قال: عن الفقهاء كلهم.

وقال سهل: من أراد النظر إلى مجالس الأنبياء فلينظر إلى مجالس العلماء فاعرفوا لهم ذلك.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: مجلس فقه خير من عبادة ستين سنة.

وعن سفيان الثوري والشافعي رضي الله عنهما: ليس بعد الفرائض أفضل من طلب العلم.

وعن أبي ذر وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: باب من العلم نتعلمه أحب إلينا من ألف ركعة تطوعًا، وباب من العلم نعلمه عُمِلَ به أو لم يُعْمَلْ أحب إلينا من مائة ركعة تطوعًا.

نسأل الله التوفيق والهداية.

***

الباب الثاني
فى آداب المتعلم
[الفصل الأول: آداب المتعلم فى طلب العلم]

١- تطهير القلب من خبيث الصفات ليصلح لقبول العلم

قال الإمام النووي رحمه الله فى مقدمة (شرح المهذب): ينبغي للمتعلم أن يطهر قلبه من الأدناس، ليصلح لقبول العلم وحفظه واستثماره. اهـ.

وقال الإمام بدر الدين الكناني رحمه الله: إذا طيب القلب للعلم ظهرت بركته ونما، كالأرض إذا طيبت للزرع نما زرعها وزكا، وفي الحديث: إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد كله ألا وهي القلب.

وقال الحبيب عبد الله بن علوي الحداد: لو جئت بوعاء وسخ لرجل تريد منه سمنا أو عسلا أو نحو ذلك، قال لك: رح اغسله أولا، وهذا فى أمور الدنيا، فكيف توضع الأسرار القلوب الواسخة؟

وكان الإمام الشافعي رحمه الله يقول:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي * فأرشدني إلى ترك المعاصى
وأخبرني بأن العلم نور * ونور الله لا يهدى لعاصى

وقال سهل بن عبد الله رحمه الله: حرام على قلب أن يدخله النور وفيه شيء مما يكره الله عز وجل.

٢-حسن النية في تعلم العلم

واعلم، أنه لابد لطالب العلم من حسن النية فى تعلم العلم، إذ النية هي الأصل فى جميع الأفعال، لقوله صلى الله عليه وسلم: **«إنما الأعمال بالنيات»** [أخرجه البخاري].

فينبغي أن يقصد به وجه الله تعالى والعمل به، وإحياء الشريعة، والقرب من الله وطلب رضاه، وإزالة الجهل عن نفسه وعن سائر الجهال، وإحياء الدين وإبقاء الإسلام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من نفسه ومن الغير بقدر الإمكان.

ولا يقصد به الأغراض الدنيوية من تحصيل الرياسة والجاه والمال، ومباهاة الأقران، وتعظيم الناس له، وتصديره في المجالس ونحو ذلك، فيستبدل الأدنى بالذي هو خير.

قال أبو يوسف رحمه الله: يا قوم أريدوا بعلمكم الله تعالى فإني لم أجلس مجلسًا قط أنوي فيه أن أتواضع إلا لم أقم حتى أعلوهم، ولم أجلس مجلساً قط أنوي فيه أن أعلوهم إلا لم أقم حتى أفتضح.

٣-اغتنام الأوقات وجمع القلب على العلم

ينبغي لطالب العلم: أن يبادر شبابه وأوقات عمره إلى التحصيل ولا يغتر بخدع التسويف والتأميل، فإن كل ساعة تمضي من عمره لا بدَلَ لها ولا عوض عنها، ويقطع ما يقدر عليه من العلائق الشاغلة والعوائق المانعة عن تمام الطلب وبذل الاجتهاد وقوة الجد في التحصيل فإنها كقواطع الطريق، ولذلك استحب السلف التغرب عن الأهل والبعد عن الوطن، لأن الفكرة إذا توزعت قصرت عن درك الحقائق وغموض الدقائق: ﴿**مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ**﴾ [الأحزاب: ٤]، وكذلك يقال: العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلّك. انتهى من كلام الإمام بدر الدين الكناني.

٤- القناعة باليسير من الدنيا والصبر على الفقر في سبيل تحصيل العلم

وينبغي أن يقنع من القوت بما تيسر وإن كان يسيرًا، ومن اللباس بما يستر مثله وإن كان خلقًا، فبالصبر على ضيق العيش ينال سعة العلم ويجمع شمل القلب عن مفترقات الآمال فتتفجر فيه ينابيع الحكم.

قال الإمام الشافعي رحمه الله: لا يصلح طلب العلم إلا لمفلس، قيل: ولا الغني المكفي، قال: ولا الغني المكفي.

وقال الإمام مالك رحـمه الله: لا يبلغ أحد من هذا العلم ما يريد حتى يضربه الفقر ويؤثره على كل شيء.

وقال الإمام أبو حنيفة رحمه الله: يُستعان على الفقه بجمع الهم، ويستعان على حذف العلائق بأخذ اليسير عند الحاجة ولا يزد.

٥- تقسيم الأوقات على العلم، وذكر أجود أوقات وأماكن الحفظ

وينبغي لطالب العلم: أن يقسم أوقات ليله ونهار ويغتنم ما بقي من عمره فإن بقية العمر لا قيمة له. وأجود الأوقات للحفظ الأسحار وللبحث الإبكار وللكتاب وسط النهار وللمطالعة والمذاكرة الليل.

قال الإمام الخطيب رحمه: وأجود أماكن الحفظ الغرف وكل موضع بعيد عن الملهيات. وقال: وليس بمحمود الحفظ بحضرة النبات والخضرة والأنهار وقوارع الطريق وضجيج الأصوات لأنها تمنع من خلو القلب غالبًا.

٦- التخفف من الطعام الحلال والمنام

عن الإمام الشافعي رحمه الله تعالى قال: ما شبعت منذ ست عشرة سنة إلا شبعة طرحتها من ساعتي، لأن الشبع يثقل البدن ويقسي القلب ويزيل الفطنة ويـجلب النوم ويضعف صاحبه

عن العبادة.

ولم ير أحد من الأولياء والأئمة العلماء يصف أو يوصف بكثرة الأكل ولا حمد به، وإنما يحمد كثرة الأكل من الدواب التي لا تعقل بل هي مرصدة للعمل. وأن يأخذ نفسه بالورع في جميع شأنه ويتحرى الحلال في طعامه وشرابه ولباسه ومسكنه وفي جميع ما يحتاج إليه هو وعياله ليستنير قلبه ويصلح لقبول العلم ونوره والنفع به.

ويقتدي بمن سلف من العلماء الصالحين في التورع عن كثير مما كانوا يفتون بجوازه، وأحق من اقتدى به في ذلك سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث لم يأكل التمرة التي وجدها في الطريق خشية أن تكون من الصدقة مع بُعد كونها منها، ولأن أهل العلم يقتدى بهم ويؤخذ عنهم فإذا لم يستعملوا الورع فمن يستعلمه.

وأن يقلل نومه ما لم يلحقه ضرر في بدنه وذهنه، ولا يزيد في نومه في اليوم والليلة على ثمان ساعات وهو ثلث الزمان، فإن احتمل حاله أقل منها فعل.

٧- التماس الفائدة حيث كانت

قال الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي رحمه الله تعالى: ينبغي

للسالك أن يأخذ الفائدة العلمية والآداب الحسنة الشرعية من حيث وجدها، من قريب أو بعيد أو رفيع أو وضيع أو ظاهر أو خامل، ولا يتقيد بقيد الرعونة والعادة، وتمنعه نفسه من التلقي ممن لا يكون له ذكر ولا شهرة ولا صيت، فإن فاعل هذا من الجاهلين الغافلين. اهـ.

لأن الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها أخذها.

وقال الإمام عبد الله بن علوي الحداد رحمه الله: لا يفتح على أحد في العلم حتى يطلبه ويعتقد أنه خلي منه، لأن المظاهر الدنيوية قد تنقص من المظاهر الأخروية. اهـ.

٨- ترك العِشرة

قال الإمام بدر الدين الكناني رحمه الله: -ينبغي لطالب العلم- أن يترك العشرة فإن تركها من أهم ما ينبغي لطالب العلم ولاسيما لغير الجنس وخصوصًا لمن كثر لعبه وقلت فكرته؛ فإن الطباع سراقة، وآفة العشرة ضياع العمر بغير فائدة وذهاب المال والعرض إن كان لغير أهل، وذهاب الدين إن كانت لغير أهله.

والذي ينبغي لطالب العلم أن لا يخالط إلا من يفيده أو يستفيد منه بما رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم: «**اغد عالمًا أو متعلمًا ولا تكن الثالث فتهلك**» [أخرجه البزار].

فإن احتاج إلى أن يصحبه فليكن صاحبًا صالـحًا دينًا تقيًا ورعًا ذكيًا كثير الخير قليل الشر حسن المداراة قليل المماراة إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه وإن احتاج واساه وإن ضجر صبره.

ومما يروى عن علي رضي الله عنه: لا تصحب أخا الجهل إياك وإياه.

وقال الإمام عبد الله الحداد رحمه الله:

واصحب ذوي المعروف والعلم والهدى

وجانب ولا تصحب هديت من افتتن

٩- حسن الأدب مع الكتب العلمية

وينبغي لطالب العلم أن يعتني بتحصيل الكتب المحتاج إليها ما أمكنه شراء وإلا فإجارة أو عارية لأنها آلة التحصيل ولا يجعل تحصيلها وكثرتها حظه من العلم وجمعها نصيبه من الفهم كما يفعله كثير من المنتحلين للفقه والحديث.

ويستحب إعارة الكتب لمن لا ضرر عليه فيها ممن لا ضرر منه بها، وكره قوم عاريتها، والأول أولى لما فيه من الإعانة على العلم مع ما في مطلق العارية من الفضل والأجر، قال رجل لأبي العتاهية: أعرني كتابك. فقال: إنـي أكره ذلك. فقال: أما علمت أن الـمكارم

موصولة بالمكاره، فأعاره.

إذا نسخ من الكتاب أو طالعه فلا يضعه على الأرض مفروشًا منشورًا بل يجعله بين كتابين أو شيئين أو كرسي الكتب المعروفة كيلا يسرع تقطيع حبله، وإذا وضعها في مكان مصفوفة فلتكن على كرسي أو تحت خشب أو نحوه.

ويراعي الأدب في وضع الكتب باعتبار علومها وشرفها ومصنفها وجلالتهم فيضع الأشرف أعلى الكل ثم يراعي التدريج فإن كان فيها المصحف الكريم جعله أعلى الكل، والأولى أن يكون في خريطة ذات عروة في مسمار أو وتد في حائط طاهر نظيف في صدر المجلس، ثم كتب الحديث الصرف كصحيح مسلم ثم تفسير القرآن ثم تفسير الحديث ثم أصول الدين ثم أصول الفقه ثم الفقه ثم النحو والتصريف ثم أشعار العرب ثم العروض.

١٠- حسن الأدب مع رفقته

وينبغي أن يرغب بقية الطلبة في التحصيل ويدلهم على مظانه ويصرف عنهم الهموم المشغلة عنه ويهون عليهم مؤنته ويذاكرهم بما حصله من الفوائد والقواعد والغرائب وينصحهم بالدين، فبذلك يستنير قلبه ويزكو عمله ومن بخل عليهم لم يثبت علمه، وإن ثبت لم

يثمر، وقد جرب ذلك جماعة من السلف، ولا يفخر عليهم أو يعجب بجودة ذهنه بل يـحمد الله تعالى على ذلك ويستزيده منه بدوام شكره.

[الفصل الثاني: آداب المتعلم مع معلمه]

١- إختيار المعلم الأنفع

ينبغي للطالب أن يقدم النظر ويستخير الله فيمن يأخذ العلم عنه ويكتسب حسن الأخلاق والآداب منه وليكن إن أمكن ممن كملت أهليته وتحققت شفقته وظهرت مروءته وعرفت عفته واشتهرت صيانته وكان أحسن تعليمًا وأجود تفهيمًا ولا يرغب الطالب في زيادة العلم مع نقص في ورع أو دين أو عدم خلق جميل.

فعن بعض السلف: هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم.

وليجتهد على أن يكون الشيخ ممن له على العلوم الشرعية تمام الإطلاع، وله مع من يوثق به من مشايخ عصره كثرة بحث وطول اجتماع، لا ممن أخذ عن بطون الأوراق ولم يعرف بصحبة المشايخ الحذاق. قال الإمام الشافعي رضي الله عنه: من تفقه من بطون الكتب ضيع الأحكام.

وكان بعضهم يقول: من أعظم البلية تشيخ الصحيفة، أي الذين تعلموا من الصحف.

٢-طاعة المعلم والتواضع إليه

وينبغي أن ينقاد لمعلمه في أموره ولا يخرج عن رأيه وتدبيره، بل يكون معه كالمريض مع الطبيب الماهر، فيشاوره فيما يقصده ويتحرى رضاه فيما يعتمده، ويبالغ في حرمته يتقرب إلى الله تعالى بخدمته، ويعلم أن ذله لمعلمه عز، وخضوعه له فخر، وتواضعه له رفعة. ويقال إن الإمام الشافعي رضي الله عنه عوتب على تواضعه للعلماء، فقال:

ولن تكرم النفس التي لا تهينها * أهين لهم نفسي فهم يكرمونها

وأخذ سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما مع جلالته ومرتبته بركاب زيد بن ثابت الأنصاري وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا.

وقال الإمام الغزالي: لا ينال العلم إلا بالتواضع وإلقاء السمع، قال: ومهما أشار عليه شيخه بطريق في التعليم فليقلده وليدع رأيه فخطأ مرشده أنفع له من صوابه في نفسه.

٣-إجلال المعلم

وينبغي أن ينظره بعين الإجلال ويعتقد فيه درجة الكمال فإن

ذلك أقرب إلى نفعه به، وكان بعض السلف إذا ذهب إلى معلمه تصدق بشيء وقال: اللهم استر عيب شيخي عني ولا تذهب بركة علمه مني.

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه: كنت أصفح الورقة بين يدي مالك صفحًا رفيقًا هيبة له لئلا يسمع وقعها.

وينبغي أن لا يخاطب معلمه بتاء الخطاب وكافه، ولا يناديه مِنْ بُعْدٍ، بل يقول: يا سيدي، ويا أستاذي، وياشيخي.

وكان الإمام أحمد بن عمر الهندوان رضي الله عنه يقول: إنما حرموا العلم لقلة احترامهم لأهل العلم. اهـ.

قال القائل:

إن المعلم والطبيب كلاهما * لا ينصحان إذا هما لم يكرما
فاصبر لدائك إن أهنت طبيبه * واصبر لجهلك إن جفوت معلما

٤- معرفة فضل المعلم وحفض حقه

وينبغي أن يعرف له حقه ولا ينسى له فضله، قال شعبة: كنت إذا سمعت من الرجل الحديث كنت له عبدًا ما يحيا، وقال: ما سمعت من أحد شيئًا إلا واختلفت إليه أكثر مما سمعت منه.

ومن ذلك أن يعظم حرمته ويرد غيبته ويغضب لـها، فإن عجز عن ذلك قام وفارق ذلك المجلس.

وينبغي أن يدعو له مدة حياته ويرعى ذريته وأقاربه وأوداءه بعد وفاته، ويتعمد زيارة قبره والاستغفار له والصدقة عنه ويسلك في السمت والهدى مسلكه، ويراعي في العلم والدين عادته ويقتدي بحركاته وسكناته، في عاداته وعباداته، ويتأدب بآدابه ولا يدع الاقتداء به.

٥-الصبر على جفاء المعلم

وينبغي أن يصبر على جفوة تصدر من شيخه أو سوء خلق ولا يصده ذلك عن ملازمته وحسن عقيدته، ويتأول أفعاله التي يظهر أن الصواب خلافها على أحسن تأويل، ويبدأ هو عند جفوة الشيخ بالاعتذار والتوبة مما وقع والاستغفار، وينسب الموجب إليه ويجعل العَتْبَ عليه فإن ذلك أبقى لمودة شيخه واحفظ لقلبه وأنفع للطالب في دنياه وآخرته.

وعن بعض السلف: من لم يصبر على ذل التعليم بقي عمره في عماية الجهالة، ومن صبر عليه آل أمره إلى عز الدنيا والآخرة.

وعن ابن عباس: ذللت طالبًا فعززت مطلوبًا.

٦- شكر المعلم على اعتنائه به

وينبغي أن يشكر المعلم على توقيفه على ما فيه فضيلة، وعلى توبيخه على ما فيه نقيصة، أو على كسل يعتريه، أو قصور يعاينه أو غير ذلك مما في إيقافه عليه وتوبيخه إرشاده وصلاحه، ويعد ذلك من المعلم من نعم الله تعالى عليه باعتناء المعلم به ونظره إليه، فإن ذلك أمثل إلى قلب المعلم وأبعث على الاعتناء بمصالحه.

٧- الجلوس بالأدب بين يدي المعلم

وينبغي أن يجلس بين يدي المعلم جلسة الأدب كما يجلس الصبي بين يدي المقري أو متربعًا بتواضع وخضوع وسكون وخشوع ويصغي إلى المعلم ناظرًا إليه ويقبل بكليته عليه متعقلاً لقوله بحيث لا يُحْوِجُه إلى إعادة الكلام مرة ثانية، ولا يلتفت من غير ضرورة، ولا ينظر إلى يمينه أو شماله أو فوقه أو قدامه بغير حاجة، ولاسيما عند بحثه له أو عند كلامه معه.

ولا ينبغي أن ينفض كميه ولا يحسر عن ذراعيه ولا يعبث بيديه أو رجليه أو غيرهما من أعضائه ولا يضع يده على لحيته أو فمه أو يعبث بها في أنفه أو يستخرج منها شيئًا ولا يفتح فاه، ولا يقرع سنه، ولا يضرب الأرض براحته أو يخط عليها بأصابعه، ولا يشبك بيديه أو يعبث بأزراره.

روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: من حق المعلم عليك أن تسلم على الناس عامة وتخصه دونهم بـتحية، وأن تجلس أمامه، ولا تشيرن عنده بيدك ولا تغمز بعينك، ولا تقولن: قال فلان خلاف ما تقول، ولا تغتابن عنده أحدا، ولا تشاور جليسك فى مجلسه، ولا تأخذ بثوبه إذا قام، ولا تلح عليه إذا كسل، ولا تعرض، أي: لا تشبع من طول صحبته. اهـ.

٨-الاستماع للمعلم

إذا سمع المعلم يذكر حكمًا في مسألة أو فائدة مستغربة أو يحكي حكاية أو ينشد شعرًا وهو يحفظ ذلك أصغى إليه إصغاء مستفيد له في الحال متعطش إليه فرح به كأنه لم يسمعه قط.

قال عطاء: إني لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلم به منه فأريه من نفسي أني لا أحسن منه شيئًا.

وعنه قال: إن الشاب ليتحدث بحديث فأسمع له كأني لم أسمعه ولقد سمعته قبل أن يولد.

وينبغي أن لا يقصر في الإصغاء والتفهم أو يشتغل ذهنه بفكر أو حديث ثم يستعيد الشيخ ما قاله لأن ذلك إساءة أدب بل يكون مصغيًا لكلامه حاضر الذهن لما يسمعه من أول مرة.

وإذا لم يسمع كلام المعلم لبعده أو لم يفهمه من الإصغاء إليه والإقبال عليه، فله أن يسأل المعلم إعادته وتفهيمه بعد بيان عذره بسؤال لطيف.

٩- حسن الأدب فى الكلام مع المعلم

وينبغي أن لا يقطع على المعلم كلامه؛ أي كلام كان، ولا يسابقه فيه ولا يساوقه بل يصبر حتى يفرغ الشيخ كلامه ثم يتكلم، ولا يتحدث مع غيره والمعلم يتحدث معه أو مع جماعة المجلس.

وليكن ذهنه حاضرًا في كل وقت بحيث إذا أمره بشيء أو سأله عن شيء أو أشار إليه لم يحوجه إلى إعادته ثانيًا بل يبادر إليه مسرعًا ولم يعاوده فيه أو يعترض عليه بقوله: فإن لم يكن الأمر كذا؟

١٠- خدمة المعلم

عن سفيان بن عيينة رحمه الله قال: قرأت القرآن وأنا ابن أربع سنين، وكتبت الحديث وأنا ابن سبع سنين، ولما بلغت خمس عشرة سنة، قال لي أبي: يا بني، قد انقطعتْ عنك شرائعُ الصِبا، فاختلطْ بالخير تكن من أهله، واعلم أنه لن يُسعَد بالعلماء إلا من أطاعهم، فأطعْهم تُسعدْ، واخدُمهم تقتبسْ من علمهم، فجعلت أميل إلى وصية أبي ولا أعدل عنها. اهـ.

قال بعضهم: العلم بالتعلم والبركة بالخدمة.

وقال الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه: أربعٌ لا ينبغي للشريف أن يأنف منها: قيامه من مجلسه لأبيه، وخدمته لضيفه، وقيامه على دابته، وخدمته لمن يتعلم منه. اهـ.

وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: لا يطلب أحد هذا العلم بالملك وعز النفس فيفلح، ولكن من طلبه بذل النفس وضيق العيش وخدمة العلماء أفلح.

وقد كان ابن عباس رضي الله عنه يأخذ بركاب زيد بن ثابت رضي الله عنه ويقول: هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء.

ويقال: إن الإمام الشافعي رضي الله عنه عوتب على تواضعه للعلماء فقال:

أهينُ لهم نفسي فهم يُكرمونَها * ولن تَكرُمَ النفسُ التي لا تُهينُها.

نسأل الله التوفيق والهداية.

***

الباب الثالث
فى آداب العالم

قال الحبيب عبد الله بن علوي الحداد رحمه الله: لا يجد العالم لذة العلم حتى يهذب نفسه وأخلاقه، ويستقيم على الكتاب والسنة، ويرمي بالرياسة تحت قدمه. اهـ. فمن آداب العالم:

١-الإنصاف

ينبغي للعالم أن يلازم الإنصاف في بحثه وخطابه، ويسمع السؤال من مورده على وجهه وإن كان صغيرا، ولا يترفع عن سماعه فيحرم الفائدة.

قال الإمام ابن عبد البر رحمه الله: من بركة العلم وآدابه: الإنصاف. من أمثلة الإنصاف أن امرأة ردت على عمر رضي الله عنه ونبهته على الحق وهو فى خطبته على ملإ من الناس، فقال: امرأة أصابت وأخطأ رجل. وقال الإمام مالك بن أنس: رأينا الصواب يحتمل الخطأ، ورأي غيرنا الخطأ يحتمل الصواب.

٢-قول (لا أدري) أو (الله أعلم)

ومن آدابه أن يقول: (لا أدري) أو (الله أعلم) إذا سئل عما لا يعلم، فقد روي فى الأثر عن ابن عمر رضي الله عنهما قوله: العلم

ثلاثة: كتاب نطق، وسنة ماضية، ولا أدري.

قال الإمام محيي الدين النووي رحمه الله: من علم العالم أن يقول فيما لا يعلم: (لا أعلم) أو (الله أعلم).

وقد قال ابن مسعود رضي الله عنه: يا أيها الناس، من علم شيئا فليقل به، ومن لم يعلم فليقل: (الله أعلم)، فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم: (الله أعلم).

ثم قال الإمام النووي: اعلم أن معتقد المحققين أن قول العالم: (لا أدري) لا يضع منزلته، بل هو دليل على عظم محله وتقواه وكمال معرفته، لأن المتمكن لا يضره عدم معرفته مسائل معدودة، بل يستدل على قوله (لا أدري) على تقواه وأنه لا يجازف في فتواه.

وقال محمد بن عبد الحكم رضي الله عنه: سألت الشافعي عن المتعة أكان فيها طلاق أو ميراث أو نفقة تجب أو شهادة؟ فقال: واللهِ ما ندري.

وقد أدّب الله العلماء بقصة موسى مع الخضر عليهما السلام حين لم يرد موسى العلم إلى الله عز وجل لـما سئل: هل أحد في الأرض أعلم منك؟

٣- التورع عن الفتيان

قال عبد الرحمن بن أبي ليلى: أدركت عشرين ومئة من أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يسأل أحدهم عن المسألة، فيردها هذا إلى هذا حتى ترجع إلى الأولى.

وعن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم: من أفتى عن كل ما يسأل فهو مجنون.

وكان الإمام مالك رحمه الله يقول: من أجاب فى مسألة فينبغي قبل الجواب أن يعرض نفسه على الجنة والنار وكيف خلاصه، ثم يجيب. وقال رضي الله عنه: ما أفتيت حتى حتى شهد لي سبعون أني أهل لذلك.

وروي عن الإمام مالك رحمه الله، أنه أجاب على أربع مسائل من نحو أربعين مسألة، قال فى البوقي: الله أعلم.

٤- الترفع عن الدنيا

ومن آداب العالم أن يكون شريف النفس مرتفعا عن الجبابرة وأبناء الدنيا. قال ابن مسعود: لو أن أهل العلم صانوا العلم ووضعوه عند أهله سادوا به أهل زمانهم، ولكن بذلوه لأهل الدنيا لينالوا من دنياهم فهانوا على أهلها.

وعن ربيعة الرأي رحـمه الله قال: لا ينبغـي لأحد عنده شيء من العلم أن يضيع نفسه.

وقال الإمام الحسن البصري رحمه الله: عقوبه العلماء موت القلوب، وموت القلوب طلب الدنيا بعمل الآخرة.

وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله: من حمل القرآن ثم مال بقلبه إلى الدنيا فقد اتخذ آيات الله هزوا ولعبا.

وذكر الإمام الغزالي رحمه الله: أن العالم الذي هو من أبناء الدنيا أخسُّ حالا وأشد عذابا من الجاهل. اهـ.

٥- التواضع

ومن آدابه أن يتواضع لله فى سره وعلانيته ويحترس من نفسه.
وعن أيوب السختياني رحمه الله قال: ينبغي للعالم أن يضع التراب على رأسه تواضعا لله عزوجل.

وعن الفضيل بن عياض رحمه الله: إن الله يحب العالم المتواضع ويبغض العالم الجبار، ومن تواضع لله عز وجل ورثه الحكمة.

وقال سعيد بن جبير: لا يزال الرجل عالما ما تعلم، فإذا ترك التعلم وظن أنه قد استغنى واكتفى بما عنده فهو أجهل ما يكون.

فقال القائل:

تواضع تكن كالنجم فى أفق السما * على صفحات الـماء وهو رفيع
ولا تـك كالـدخان يعلو بنـفسه * إلى طبقات الـجو وهو وضيع

وثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ: ﴿**لَمْ يَكُنِ الَّذِيْنَ كَفَرُوا**﴾(١) على أُبَيّ بن كعب رضي الله عنه، وقال: «**أمرني الله أن أقرأ عليك**». فاستنبط العلماء من ذلك فوائد: منها بيان التواضع، وأن الفاضل لا يمتنع من القراءة على المفضول. اهـ.

وقال القائل:

إذا زاد علم الـمرء زاد تواضـعا * وإن زاد جهل المرء زاد ترفعا
وفى الغصن من حمْل الثمار مثاله * وإن يعرُ من حملِ الـثمار تمنعا

٦- ترك المراء والجدل

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: سمعت سفيان بن عيينة يقول: إن العالم لا يماري ولا يداري، ينشر حكمة الله، فإن قبلت حمد الله، وإن ردت حمد الله.

وقال الحبيب عبد الله بن علوي الحداد رضي الله عنه: من شأن أهـل الـحق ترك الـجدل، وإن جادلوا فبكلمة واحدة، لقوله تعالى:

---

(١) [سورة البينة].

﴿وَلا تجَادِلوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاّ بِالّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

وعن ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿وَلاَ جِدَالَ فِي الحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧]، قال: أن تماري صاحبك حتى تغضبه.

وعن ابن عباس: الجدال: المراء والملاحاة حتى تغضب أخاك وصاحبك، فنهى الله عن ذلك.

وعن ابن عمر : الجدال المراء والسباب والخصومات.

فعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«ما ضلّ قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أُوتوا الجدل»** [أخرجه الترمذي]. ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨].

وقال مالك بن أنس رضي الله عنه: كلما جاء رجل أجدل من رجل، تركنا ما نزل به جبريل على محمد عليه السلام لجدله.

وقال أيضًا: ليس هذا الجدل من الدين بشيء.

٧- عدم مخالطة السلاطين

عن علي بن الحسن الصندلي أن السلطان ملك شاه قال له: لم لا تجئ إلـي؟ فقال: أردت أن تكون من خير الملوك حيث تزور العلماء،

ولا أكون من شر العلماء حيث أزور الملوك. اهـ.

قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: إياكم ومواقف الفتن، قيل: وما هي؟ قال: أبواب الأمراء، يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه بالكذب، ويقول ما ليس فيه.

قال سعيد بن مسيب رحمه الله: إذا رأيتم العالم يغشي الأمراء، فاحذروا منه فإنه لص.

وأما من قصده بذلك النصيحة لهم فهو خارج عن الذم.

٨- الرفق واللطف بطلبة العلم

قال الإمام النووي رحمه الله: يستحب للمعلم أن يرفق بالطالب ويحسن إليه ما أمكنه.

وقال الحبيب عبد الله الحداد: إنا لا نحب أن يحيرونهم حتى يملوا، وعلمان لا نأمن متفقة الزمان عليهما: علم الحقائق وعلم الخلاف بين الأمة، وعندنا منها كتب كثيرة لكننا لا نظهرها.

وقال الإمام بدر الدين الكناني رحمه الله: وينبغي أن يعتني بمصالح الطالب ويعامله بما يعامل به أعز أولاده من الحنو والشفقة عليه والإحسان إليه، والصبر على جَفَاءٍ ربما وقع منه نقص لا يكاد

يخلو الإنسان عنه وسوء أدب في بعض الأحيان، ويبسط عذره بحسب الإمكان.

ويوقفه مع ذلك على ما صدر منه بنصح وتلطف، لا بتعنيف وتعسف، قاصدًا بذلك حسن تربيته وتحسين خلقه وإصلاح شأنه، فإن عرف ذلك لذكائه بالإشارة فلا حاجة إلى صريح العبارة، وإن لم يفهم ذلك إلا بصريحها أتى بها، وراعى التدريج في التلطف ويؤدبه بالآداب السنية ويحرضه على الأخلاق المرضية ويوصيه بالأمور العرفية على الأوضاع الشرعية. اهـ.

٩- المحافظة على شعائر الإسلام

ينبغي للعالم أن يحافظ على القيام بشعائر الإسلام وظواهر الأحكام، كإقامة الصلاة في المساجد للجماعات، وإفشاء السلام للخواص والعوام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على الأذى، بسبب ذلك صادعًا بالحق عند السلاطين، باذلاً نفسه لله لا يخاف فيه لومة لائم، ذاكرًا قوله تعالى: ﴿**وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**﴾ [لقمان: ١٧].

وما كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء عليه من الصبر على الأذى وما كانوا يتحملونه في الله تعالى حتى كانت لهم العقبى.

وأن يحافظ على المندوبات الشرعية القولية والفعلية، فيلازم تلاوة القرآن، وذكر الله تعالى بالقلب واللسان، وكذلك ما ورد من الدعوات والأذكار في آناء الليل والنهار، ومن نوافل العبادات من الصلاة والصيام وحج البيت الحرام والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فإن محبته وإجلاله وتعظيمه واجب والأدب عند سماع اسمه وذكر سنته مطلوب وسنة.

كان الإمام مالك رضي الله عنه إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يتغير لونه وينحني.

وكان ابن القاسم إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يجف لسانه في فيه هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

١٠- معاملة الناس بمكارم الأخلاق

فقد أثنى الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم بحسن خلقه، فقال : ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ [القلم: ٤]. وأمره سبحانه وتعالى بمحاسن الأخلاق، فقال: ﴿**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾ [فصلت: ٣٤].

وقد بعث رسوله صلى الله عليه وسلم بإتمامها، فقال: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**» [أخرجه البخارى].

وبين صلى الله عليه وسلم فضل محاسن الأخلاق، فقال : **«ما من شىء فى الميزان أثقل من حسن الخلق»** [أخرجه البخارى]. وقال: **«أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم أخلاقا»** [أخرجه أحمد وأبو داود].

وسئل صلى الله عليه وسلم عن أى الأعمال أفضل، فقال : **«حسن الخلق»** ولما سُئِل عن أكثر ما يُدخل الجنة، قال: **«تقوى الله وحسن الخلق»** [أخرجه الترمذى وصححه].

ومعاملة الناس بمكارم الأخلاق من طلاقة الوجه، وإفشاء السلام وإطعام الطعام، وكظم الغيظ، وكف الأذى عن الناس، واحتماله منهم والإيثار، وترك الاستئثار، والإنصاف، وترك الاستنصاف، وشكر التفضل، وإيجاد الراحة، والسعي في قضاء الحاجات، وبذل الجاه في الشفاعات، والتلطف بالفقراء، والتحبب إلى الجيران والأقرباء، والرفق بالطلبة، وإعانتهم وبرهم، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

وإذا رأى من لا يقيم صلاته أو طهارته أو شيئًا من الواجبات عليه إرشاده بتلطف ورفق كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الأعرابي الذي بال في المسجد، ومع معاوية بن الحكم لما تكلم في الصلاة.

وينبغي للعالم أن يطهر باطنه وظاهره من الأخلاق الرديئة ويعمره بالأخلاق المرضية فمن الأخلاق الرديئة الغل، والحسد، والبغي، والغضب لغير الله تعالى، والغش، والكبر، والرئاء، والعجب، والسمعة، والبخل، والخبث، والبطر، والطمع، والفخر، والخيلاء، والتنافس في الدنيا، والمباهاة بها، والمداهنة والتزين للناس، وحب المدح بما لم يفعل، والعمى عن عيوب النفس، والاشتغال عنها بعيوب الخلق، والحمية والعصبية لغير الله، والرغبة والرهبة لغير الله، والغيبة والنميمة، والبهتان والكذب والفحش في القول، واحتقار الناس، ولو كانوا دونه. فالحذرَ الحذرَ من هذه الصفات الخبيثة والأخلاق الرذيلة، فإنها باب كل شر، بل هي الشر كله. اهـ.

نسأل الله التوفيق والهداية.

***

الباب الرابع
فى العمل بالعلم

والعمل بالعلم شأنه عظيم، فثواب العاملين بالعلم ثواب عظيم كريم، كما قال الله تعالى: ﴿**فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ**﴾ [الزمر: ٧٤]. وقال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً. خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً**﴾ [الكهف: ١٠٦].

والأصل في العمل بالعلم أنه واجب، وأن من لا يعمل بعلمه مذموم، وعند التفصيل نجد أن العمل بالعلم على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: ما يلزم منه البقاء على دين الإسلام وهو التوحيد واجتناب نواقض الإسلام، والمخالف في هذه الدرجة كافر غير مسلم، فإن ادعى الإسلام فهو منافقٌ النفاق الأكبر، وإن كان يتعاطى العلم ويعلّمه.

والدرجة الثانية: ما يجب العمل به من أداء الواجبات واجتناب المحرمات، والقائم بهذه الدرجة من عباد الله المتقين، والمخالف فيها فاسق من عصاة الموحّدين، لا يحكم بكفره لقيامه بما تقتضيه الدرجة الأولى، ولكن يخشى عليه من العقوبة على ما ترك من العمل الواجب.

والدرجة الثالثة: ما يستحب العمل به وهو نوافل العبادات، واجتناب المكروهات، والقائم بهذه الدرجة على ما يستطيع من عباد الله المحسنين. ﴿**وإِنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ المحْسِنِينَ**﴾ [التوبة: ١٢٠].

وكان من هدي السلف الصالح تربية أنفسهم على العمل بالعلم، والتواصي به، وإلزام النفس بالعمل بما تعلمت ولو مرة واحدة ليكونوا منه أهله وليخرجوا من مذمة ترك العمل بالعلم، وذلك إذا لم يكن في الأمر وجوب يقتضي تكرار العمل به أو كان تكراره من السنن المؤكّدة.

قال الإمام أحمد رحمه الله: ما كتبت حديثا إلاّ وقد عملتُ به، حتى مرَّ بي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وأعطى أبا طيبة ديناراً، فاحتجمت وأعطيت الحجام ديناراً.

وقال سفيان الثوري رحمه الله: ما بلغني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث قط إلاّ عملت به ولو مرّة واحدة.

وقال عمرو بن قيس السكوني رحمه الله: إذا سمعت بالخير فاعمل به ولو مرة واحدة تكن من أهله.

وعن وكيع بن الجرّاح رحمه الله: كنّا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به.

قال رجل للحسن البصري رضي الله عنه: إن فقهاءنا يقولون كذا، فقال الحسن: هل رأيت فقيها قط؟ إنما الفقيه الزهد في الدنيا، الراغب في الآخرة، البصير في دينه، المداوم على عبادة ربه.

اعلم رحمك الله، أن العلم النافع هو ما يزيد به القلب زهدا في الدنيا ورغبة في الآخرة وتواضعا وخشوعا لله تعالى.

قال الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله تعالى: كل علم لا يورث صاحبه الخشية والتواضع والنصيحة للخلق والشفقة عليهم، ولا يحمله على حسن معملة الله تعالى، وأداء الأمانة ومخالفة النفس ومباينة الشهوات، فذلك العلم الذي لا ينفع، وهو الذي استعاذ منه النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «**أعوذ بك من علم لا ينفع**» [أخرجه مسلم].

وقال الحبيب أحمد بن حسن العطاس رضي الله عنه: كان السلف يعلمون أولادهم العمل قبل العلم، فإذا تعلموا العمل علموهم العلم، وقالوا لهم: هذا حق فالزموه، وهذا باطل فاجتنبوه.

فينبغي لطالب العلم أن يظهر عليه آثار التعلم وآدابه، من حسن السَّمت والرّفق وحسن التعامل والصدق في الحديث والمعاملة، وأن يعمل بما يتعلمه من العلم، فإن بركة العلم تكون بامتثاله وبظهور

آثاره وثمراته على المتعلم، أما الذي يتعلم ولا يظهر عليه شيء من آثار العلم فهو جدير بأن يُحرم بركة العلم، والعياذ بالله.

أما عقوبة تارك العمل عظيمة شنيعة، والقوارع عليهم في الكتاب والسنة شديدة، كما قال الله تعالى: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلوا التَّوْرَاةَ ثمَّ لَمْ يَحْمِلوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِل أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَل الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ [الجمعة: ٥].

وقال تعالى: ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنْ الْغَاوِينَ. وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٦]، بل هم شر من الكلب والحمار لمصيرهما إلى التراب، ومصيرهم إلى دار البوار.

وقال صلى الله عليه وسلم: «**أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه**» [أخرجه البيهقي]، وقال: «**من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله إلا بعدا**» [أخرجه الديلمي].

وقال الإمام الغزالي رحمه الله: لو قرأت العلم مئة سنة، وجمعت ألف كتاب، لا تكون مستعدّا لرحمة الله تعالى إلا بالعمل، كما قال الله

تعالى: ﴿**وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى**﴾ [النجم: ٣٩]. وقال تعالى: ﴿**فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً**﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال الحبيب عبد الله بن علوي الحداد رحمه الله: اعلم رحمك الله، أن جميع ما ورد في فضل العلم والعلماء من الآيات والأخبار، إنما هو في حق العلماء العاملين المتقين الأبرار، الذين قصدوا بعلمهم وعملهم وجه الله الكريم الغفار، الدالّين عليه والداعين إلى سبيله آناء الليل والنهار، دون من طلبه بسوء نية، أو لأعراض دنيوية، فإنه لا فضيلة له ولا خير فيه، بل هو موسوم بالخسار. اهـ.

نسأل الله التوفيق والهداية.

***

الباب الخامس
في الدعوة إلى الله تعالى
[الفصل الأول: فضل الدعوة إلى الله]

أيها الإخوة، إن الدعوة إلى الله شأنها عظيم، وفضلها كبير، وليس هناك خبر أصدق من خبر رب العالمين حيث قال: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾ [فصلت:٣٣]، أي لا أحد أحسن قولا ممن دعا إلى توحيد الله وطاعته، ولا أحد أحسن كلاما وطريقة وحالة ممن دعا إلى الله بتعليم العلم النافع، وترغيب الناس في مكارم الأخلاق. ويدخل في هذه الآية كل من دعا إلى الله تعالى بطريق من الطرق المشروعة ومن ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومما يدل على فضل الدعوة كذلك أمر الله عز وجل نبيه عليه الصلاة والسلام بها، فقال تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ [النحل: ١٢٥]، والدعوة إلى الله وظيفة رسل الله عليهم الصلاة والسلام، وكفى بذلك فضلا وفخرا وشرفا.

والدعاة هم خير هذه الأمة على الإطلاق، قال الله تعالى : ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**

وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. وهم موعودون بالفلاح في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المنْكَرِ وَأولَئِكَ هُمُ المفْلِحُونَ**﴾ [آل عمران: ١٠٤].

والدعاة إلى الله أجرهم مستمر ومثوبتهم دائمة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من دعاء إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً**» [أخرجه مسلم].

ويكفي الدعاة فخراً وخيرية أن تسببهم في الهداية خير مما طلعت عليه الشمس وغربت: قال عليه الصلاة والسلام: «**فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمر النَّعم**» [أخرجه البخاري]، وفي رواية: «**خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت**».

قال الإمام أحمد بن حسن العطاس نفعنا به: أكثروا من الدعوة إلى الله، فإذا لم يسمع دعوتك هذا سمعها غيره، وإذا لم تسمع في وقت سمعت في وقت آخر، وإلا سمعها أحد في صلب أبيه وانتفع بها في المستقبل. ومثل الدعوة إلى الله مثل الحبة، تضعها في الأرض وما تدري إلا وقد أثمرت وصارت بستانا. اهـ.

[الفصل الثاني: آداب الداعي]

١- الإخلاص

فمن آداب الداعي إلى الله: الإخلاص وحسن النية. قال الإمام عبد الله بن علوي الحداد رضي الله عنه: كلام أهل الإخلاص والصدق نور وبركة وإن كان غير فصيح، وكلام أهل التكلف والرياء ظلمة ووحشة وإن كان فصيحا. اهـ.

وقد ذكر أن الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه إذا تكلم على الناس يسمع لهم الصياح والبكاء، ويتوب كثير من الناس مما هم مصرون عليه، وكان في لسانه لكنة، لأنه كان أعجميا، فسافر بعض بنيه، وهو عبد الرزاق، وطلب العلم واللغة والنحو ونحو ذلك، حتى أتقن علوم الآلات، فجاء واستأذن أباه أن يتكلم على الناس فأذن له، فلما خرج إليهم جعل يتكلم ويتفصح في الكلام ويجتهد في الإعراب، فصاح منه الناس واستغاثوا بالشيخ والده. اهـ.

٢- العلم والورع وحسن الخلق

ومن الآداب أن يكون الداعي عالما ورعا حسن الخلق. أما العالم فلأن الدعوة مقام الأنبياء صلوات الله عليهم، والعلماء ورثة الأنبياء. وأما الورع فلأنه يكون آتيا ما يأمر به، مجتنبا ما ينهى به، فتكون الحجة أكبر، ويقع لكلامه موقع في القلوب، وامتثال من

المأمورين. وأما حسن الخلق فلأن صاحبه يتعاطى الرفق واللطف، ويجانب الغلظة والعنف غالبا.

وقد أمر الله بذلك سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ووصفه به، فقال تعالى: ﴿**وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ**﴾ [آل عمران: ١٥٩]. فكان عليه الصلاة والسلام يلين القول لأجلاف العرب ويترفق بهم.

٣- الرفق واللين

ومن آداب الداعي: استعمال الرفق واللين، فإن ذلك أدعي إلى القبول، وأحسم لمواد الفتنة، وأسد لأبواب الخصومة والشقاق، وقد ورد في الحديث: «**إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه**» [أخرجه مسلم].

قال الإمام أحمد بن حسن العطاس نفعنا الله به: خصلتان يحتاج إليهما الداعي إلى الله والقاضي: اللين والسياسة. والإلزام إذا كان بهاتين الخصلتين لا يثقل، قال الله تعالى لسيدنا موسى عليه السلام: ﴿**فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى**﴾ [طه: ٤٤]. اهـ.

قال الحبيب عبد الله بن علوي الحداد رضي الله عنه: خذ من أهل

الزمان بالرفق ما أمكنك، ولا تشدد عليهم، فإن حبالهم رامة، وما كنتَ تعلمه أحدهم في يوم اجعله في ثلاثة أيام، لأن قلوبهم مائلة – أو منصرفة- وخصوصا الصغار، ما معك منهم إلا الترقوة واللطف بهم والرفق. اهـ.

وقال الإمام عيدروس بن عمر الحبشي رضي الله عنه: لا ينبغي لمعلم الناس الخير العنف في الأمر والنهي ولا يخصص أحدا دون أحد، بل يعمهم ويدخل نفسه في الخطاب بالأمر والنهي. اهـ.

وقال الإمام عبد الله بن حسين بن طاهر رحمه الله: ينبغي لمن أمر بمعروف أو نهى عن منكر أن يكون برفق وشفقة على الخلق، يأخذهم بالتدريج، فإذا رآهم تاركين لأشياء من الواجبات فليأمرهم بالأهم فالأهم، فإذا فعلوا ما أمرهم به انتقل إلى غيره، وأمرهم وخوّفهم برفق وشفقة، مع عدم النظر منه لمدحهم وذمهم وعطاهم ومنعهم، وإلا وقعت المداهنة، وكذا إذا ارتكبوا منهيات كثيرة ولم ينتهوا بنهيه عنها كلها فليُكلِّمهم في بعضها حتى ينتهوا، ثم يتكلم في بعضها حتى ينتهوا، ويتكلم في غيرها وهكذا. اهـ.

٤- الدعوة بالترغيب والتشويق

وقال الإمام أحمد بن حسن العطاس رضي الله عنه: والدعوة إلى الله اليوم بالتشويق أولى، والتخويف لا يكون إلا لمن في قلبه حشية

وخوف من الله، قال تعالى: ﴿**سَيَذْكُرُ مَنْ يَخْشَى**﴾ [الأعلى: ١٠]. وإذا رأيت منهم إعراضا فأمسك، ولا تتن عند مَلَلِهم سببا في تكذيبهم الله ورسوله أو إعراضهم عن الله ورسوله. قال تعالى: ﴿**وَلا تَسُبّوا الّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبّوا اللهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾ [الأنعام: ١٠٨].

٥- التعريض في النصح دون التصريح

وفي الحديث: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا بلغه عن الرجل الشيء، لم يقل: ما بال فلان، لكن يقول: **«ما بال أقوام يقولون كذا وكذا»** [أخرجه أبو داود].

وقال الإمام أحمد بن زين الحبشي نفعنا الله به: التعريض في النصح لأهل الفهم نافع جدا دون التصريح، وفي التعريض فائدة عظيمة، وهو أن النفس إذا قوبِلتْ بالأمر الصريح يثقل عليها القيام به، ويزيدها تكاسلا، والتعريض فيه تنشيط لها واسترواح، فهو أجدر بالقيام والامتثال للأمر. اهـ.

٦- الدعوة بكلام الله ورسوله

قال الإمام أحمد بن حسن العطاس نفع الله به: الدعوة إلى الله هي أن تصلح بين العباد وبين ربهم، فإذا أصلحتَ بينهم وبين ربهم فذكرهم بفرائض الله، ولا تشدد عليهم قبل أن تحبب ربهم إليهم.

وقال رضي الله عنه: الناس الآن لما تركوا الدعوة بالقرآن لم يجيئوا على شيء ولم يقبل وعظهم ولا دعوتهم، تركوا الدعوة إلى الله بكلامه ودعوا إليه بكلامهم وأقوال من عند أنفسهم ونمقوا البعارات، ومثالهم مثال من ترجم القرآن إلى غير العربية ثم أتى به وقال: هذا هو القرآن لا غيره، وانظر ما هو الحق، أن تدعوا بلسان الحق وبلسان رسول الله صلى الله عليه وسلم أو بلسان الآخرين؟

وخذ قاعدة: من دعاك إلى الله بكلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم فإنه لا يُنفّر طبعك منه. اهـ.

٧- مخاطبة الناس بما يعقلون

قال ابن مسعود رضي الله عنه: ما أنتَ بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة.

وقال علي رضي الله عنه: حدثوا الناسَ بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟ اهـ. أي: أتريدون إذا حدثتم الناس بما لا يعرفون أن يكذب الله ورسوله، لأنك إذا قلت: قال الله وقال رسوله كذا وكذا، قالوا: هذا كذب، إذا كانت عقولهم لا تبلغه، وهم لا يكذبون الله ورسوله، ولكن يكذبونك بحديث تنسبه إلى الله ورسوله، فيكونون مكذبين لله ورسوله، لا مباشرة ولكن بواسطة الناقل.

وكان الإمام أحمد بن زين الحبشي نفع الله به يقول: إن إجمال العلم للعامة أنفع لهم من التفصيل، والجزئي أنفع لهم من الكلي. وينبغي للعالم أن يقتصر على حد ما يفهمونه فقط وتطيقه عقولهم، وإلا صار كلامه فتنة، كالصبي إذا خاطبتَه بخطاب، لا يقدر على إدراك ذلك، بل تتنزل له إلى حد فهمه وقصوره. اهـ.

٨- تحسين الزي والهيئة

وينبغى للداعي إلى الله تحسين زيّه وهيئته، والتجمّل في لباسه ونحوه بما يقرب الخلق إلى الله تعالى حتى يكمل به الانتفاع.

ويدل لذلك ما روت عائشة رضي الله عنها أنه اجتمع قوم بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج إليهم، قالت: فرأيته يطلع في الإناء الذي فيه الماء يسوي من رأسه ولحيته الكريمة، فقلت: أو تفعل ذلك يا رسول الله؟

قال: «**نعم، إن الله يحب من العبد أن يتجمل لإخوانه إذا خرج إليهم**» [أخرجه ابن عدي].

وفى رواية ابن مسعود رضي الله عنه، قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة، فقال عليه السلام: «**إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس**» [أخرجه مسلم].

٩- التطبيق لما يدعو إليه

ومن آداب الداعي إلى الله تعالى أن لا يخالف قوله فعله لئلا يدخل في عموم قوله تعالى: ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أنفسَكمْ**﴾ [البقرة: ٤٤].

وفى قوله صلى الله عليه وسلم: «**يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتندلق أقتابه في النار، فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه فيقولون: أيْ فلانُ ما شأنك؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمِرُكم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه**» [أخرجه البخاري].

قال الشاعر:

وَغَيْرُ تَقِيٍّ يَأْمُرُ النَّاسَ بِالتُّقَى * طَبِيْبٌ يُدَاوِي النَّاسَ وَهْوَ عَلِيْلُ

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه جاءه رجل فقال له: يا ابن عباس، إني أريد أن آمُر بالمعروف وأنهى عن المنكر. فقال ابن عباس: أو بلغتَ ذلك؟ فقال: أرجو. قال: فإن لم تخش أن تفتضح بثلاثة أحرف من كتاب الله فافعل! قال: وما هي؟

قال: قوله تعالى: ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ**﴾ [البقرة: ٤٤]، وقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا**

تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢]، وقوله تعالى عن العبد الصالح شعيب عليه السلام: ﴿**وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ**﴾ [هود: ٨٨].

قال الإمام أحمد بن إدريس المغربي رضي الله عنه: إذا أردت أن ترشد أحدا أو تأمره أو تنهاه فابدأ بنفسك ثم بأهلك، فإن عمر رضي الله عنه كان إذا أراد أن يأمر بشيء أو ينهى عنه لا يفعل حتى يبدأ بأهل بيته. اهـ.

نسأل الله التوفيق والهداية.

***

فقد تم الكتاب بحمد الله وعونه وحسن توفيقه. ولا حول ولا
قوة إلا بالله العلي العظيم. وصلى الله على نبينا محمد و
على آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان
إلى يوم الدين. والحمد لله
رب العالمين.
م

يوغياكارتا،
يوم الاثنين/ ٢٣ رجب ١٤٣٩هـ

المراجع

١- **إحياء علوم الدين** للإمام حجة الإسلام أبي حامد الغزالي الطوسي الشافعي.

٢- **تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم** للشيخ العالم بدر الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعد الله ابن جماعة الكناني.

٣- **الفوائد المختارة لسالك طريق الآخرة** من كلام العلامة الحبيب زين بن إبراهيم بن سميط الحسيني، جمع وتقديم علي بن حسن باهارون.

٤- **مختصر منهاج القاصدين** للإمام أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي.

٥- **المنهج الساوي شرح أصول طريقة السادة آل باعلوي** للعلامة الحبيب زين بن إبراهيم بن سميط الحسيني.

٦- **النصائح الدينية والوصايا الإيمانية** للإمام قطب الدعوة والإرشاد الحبيب عبد الله بن علوي الحداد الحضرمي الشافعي.

الفهرس